

السياق في شعر ابن مجبر الأندلسي (*)

تحت إشراف
أشرف علي دعدور
عزة شبل محمد
كلية الآداب - جامعة القاهرة

أحمد سمير علي مرزوق
باحث دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها،
كلية الآداب، جامعة القاهرة

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن خصوصية ديوان ابن مجبر الأندلسي في ضوء المنهج النصي من خلال دراسة السياق، وذلك انطلاقاً من الأهمية التي يتميز بها هذا الديوان حيث يتمتع بخصوصية شديدة لسببين، السبب الأول أن يحيى بن مجبر البلنسي الإشبيلي (٥٣٥ - ٥٨٨هـ) يعد واحداً من أعظم الشعراء في عصره، حيث اعتبر شاعر القصر الأول نظراً لموهبته الفذة وتمكنه من أدواته الفنية وثقافته الواسعة، أما السبب الثاني لتميز هذا الديوان فيعود إلى خصوصية العصر نفسه حيث يكشف عن مدى النضج الفني الذي بلغته الأندلس في القرن السادس، وارتأت الدراسة أن تقوم بدراسة السياق في هذا الديوان في ضوء منهجية هاليداي ورقية حسن، والسياق منهج نقدي حديث يتكئ على علم النص وإجراءاته، حيث يُعد من المعايير النصية التي تتوقف أمام علاقات النص بما حوله من مؤثرات خارجية تساهم بطرق مختلفة في تشكيله، إلا أن النص - في الحقيقة - لا يكتفي بكونه رد فعل لهذه المؤثرات التي أثرت فيه قبلاً، بل يقابل هذا التأثير برد فعل مضاد لهذه المؤثرات فتصبح العلاقة بين النص والسياق علاقة جدلية لا تثبت على حال، فالنص ما هو إلا وحدة لغوية اتصالية، وأن غرضه هو تحقيق المعنى الشامل - الذي قصده المؤلف - الذي يستوجبه السياق العام من خلال السياقات الصغرى أي مكونات

(*) السياق في شعر ابن مجبر الأندلسي، المجلد الثامن، العدد الثالث، يوليو ٢٠١٩، ص ٦١-٨٦.

النص الجزئية، وأن عملية الاتصال تتم بين مرسل ومستقبل في ضوء إستراتيجيات ذهنية ولغوية وغير لغوية، فالنص والسياق في علاقة تفاعلية متوترة دائماً وأبداً فمن خلال هذا التفاعل يُولد المعنى.

الكلمات المفتاحية

علم النص – السياق – استراتيجيات عقلية – النص – السياق اللغوي.

Abstract

This study attempts to explore the salient features in the collection poems of Ibn-Mugbar Al-Andalusi (535-588 hijri) within the framework of text linguistics and the study of context. The collection of Ibn-Mugbar's poems is particularly significant for two main reasons. First, Ibn-Mugbar is one of the greatest poets of his age and was considered a great poet laureate for his outstanding talent, skillful poetic art and broad knowledge. The second reason relates to the peculiarity of the age itself. Ibn-Mugbar's poetry reflects the artistic perfection of Al-Andalus in the 6th century.

The study at hand draws upon the theory devised by both Halliday and Roaqlia Hassan with regard to linguistic context. The context is a critical study that hinges on text linguistics and it is also deemed as one of textual parameters that bring to the fore textual relations with paralinguistic features. The study attempts to establish the fact that context is a semiotic construct employed to drive home the message of the writer. Communicativeness between the sender and receiver is subject to linguistic , paralinguistic, and mental strategies. Text and context are dynamically interactive and through this interaction meaning is delivered.

Keywords

Text linguistics – Context – Mental Strategies – Linguistic Context – Text.

السياق في اللغة

يذهب ابن فارس إلى أن " (سوق) السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيْءِ. يقال ساقه يسوقه سَوْقًا. والسَيْقَةُ: ما استيق من الدواب. ويقال سقتُ إلى امرأتِي صَدَاقَهَا، وَأَسَقْتُه. والسُّوقُ مشتقَّةٌ من هذا، لما يُسَاق إليها من كلِّ شيء، والجمع أسواق." (١)، وقال ابن منظور "السُّوق: معروف. سَاقَ الإِبِلَ وَغَيْرَهَا يَسُوقُهَا سَوْقًا وَسِيقًا، وهو سَاقٌ وَسَوَاقٌ، شَدَّدَ للمبالغة... وقد انْسَاقَتْ وَتَسَاوَقَتْ الإِبِلُ تَسَاوُقًا إِذَا تَتَابَعَتْ، وكذلك تَقَاوَدَتْ فِيهَا مُتَقَاوِدَةً وَمُتَسَاوِقَةً. وفي حديث أمِّ معبد: فجاء زوجها يَسُوقُ أَعْرَازًا مَا تَسَاوَقُ أَي مَا تَتَابَعُ. والمُساوِقَةُ: المُتَابَعَةُ كَأَنَّ بَعْضَهَا يَسُوقُ بَعْضًا، والأصل فِي تَسَاوُقٍ تَتَسَاوَقُ كَأَنَّهَا لَضَعْفِهَا وَفَرَطِ هُزَاهَا تَتَخَاذَلُ وَيَتَخَلَّفُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ. وَسَاقَ إِلَيْهَا الصَّدَاقَ وَالْمَهْرَ سِيقًا وَأَسَاقَهُ، وَإِنْ كَانَ دِرَاهِمًا أَوْ دَنَانِيرًا، لِأَنَّ أَصْلَ الصَّدَاقِ عِنْدَ الْعَرَبِ الإِبِلَ، وَهِيَ الَّتِي تُسَاقُ، فَاسْتَعْمَلَ ذَلِكَ فِي الدَّرْهِمِ وَالدِّينَارِ وَغَيْرِهِمَا." (٢)

وقال الزمخشري في أساس البلاغة عن السياق إنه من المجاز من يقول " هو يَسُوقُ الْحَدِيثَ أَحْسَنَ سِيقًا. وإليك يُسَاقُ الْحَدِيثُ، وَهَذَا الْكَلَامُ مَسَاقَةٌ إِلَى كَذَا، وَجِئْتُكَ بِالْحَدِيثِ عَلَى سَوْقِهِ: عَلَى سَرْدِهِ" (٣)، وفي المعجم الوسيط (السياق): سِيقُ الْكَلَامِ: تَتَابَعُهُ وَأُسْلُوبُهُ الَّذِي يَجْرِي عَلَيْهِ. (٤)

السياق اصطلاحًا

وظهر وعي اللغويين المحدثين بالسياقات العديدة التي تسهم في عملية إنتاج النص في تعريف السياق الخارجي بأنه " بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه" (٥)، ويعرفه آخرون بأنه " علاقة البناء الكلي للنص بأي جزء من أجزائه" (٦) وهذا ما يسمى بالسياق اللغوي، والسياق بصفة عامة لا ينفصم عن النص لأنه جزء منه، فلا وجود لنص خارج السياق، فـ " النص المنجز لا يتم تحليله لغويًا إلا عن طريق هذا التفاعل بين المبدع والمتلقى، بين جسد النص ومدلولاته الحديثة والزمانية والمكانية. إنه باختصار شديد كائن حي يتشكل مع القراءة الواعية والتحليل الهادف الذي يجعل للسياق والموقف دورًا أساسيًا عند التحليل. هذا السياق هو الذي يحدد مكونات النص، بل ويوجدتها." (٧)

السياق في شعر ابن مجبر الأندلسي

١ - السياق السابق:

- وينقسم إلى قسمين هما (سياق الموقف والسياق الثقافي)

- سياق الموقف ينقسم إلى (مجال الخطاب وأدوار الخطاب)

أولاً: سياق الموقف

(أ) مجال الخطاب

يشير مجال الخطاب إلى الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أحاطت بابن مجبر (٥٣٥ - ٥٨٨هـ) وشكلت شخصيته وكان لها أكبر الأثر في ظهور نجمه شاعراً لدولة الموحدين، حيث لُقّب ببحتري الأندلس بما لذلك من دلالات تشي ببراعة ابن مجبر وشهرته، واعتبره ابن الأبار "شاعر الأندلس بل شاعر المغرب غير مدافع ولا منازع"^(٨)، ودولة الموحدين حكمت دولة المغرب والأندلس (٥٤٢ - ٦٤٦هـ) على أساس دعوة دينية - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - دعا إليها محمد بن تومرت مستغلاً انتشار الفتن ومظاهر المجون في عصر المرابطين، وكان يتبع مبدأ التقية إن خاف على نفسه من بطش الحاكم فكان يدعي الجنون، فابن تومرت كان يتأهب لمحاربة المرابطين، وقسم جيشه فرقاً، وجعل لكل عشرة منهم نقيباً^(٩)، فدخلت دولة المرابطين في معارك كثيرة ضده إلا أنه أحرز انتصارات عديدة متتالية مما قوى شوخته، إلا أنه أصيب بمرض شديد ألزمه الفراش، وازداد عليه وطأة عندما بلغه هزيمة جيشه ومقتل الكثيرين من أتباعه المخلصين في موقعة البحيرة عام ٥٢٤هـ، ولم يعش ابن تومرت طويلاً بعد هذه النكبة فتوفي في العام ذاته ودفن بتينمل.

أخذ عبد المؤمن بن علي الراية من بعده وبدأ في تجميع أتباع ابن تومرت من جديد، وسار على نهج ابن تومرت في القسوة البالغة مع المرابطين ومواليهم، وظل عشر سنوات يجارهم في نطاق محدود في الدولة المرابطية ثم قرر أن ينقل الصراع إلى قلب الدولة^(١٠)، حتى سقطت مراکش (٥٤١هـ) وقتل معظم أهلها واستباح أموالهم ودمرها، ثم وجه نظره إلى الأندلس، فسيطر على كثير من مدن الأندلس في وقت قصير حين أرسل عدة الجيوش لاجتثاث الدولة المرابطية من الأندلس نهائياً، ورفض أبو عبدالله محمد بن

سعد بن مردنيش حاكم مدينة مرسية في شرق الأندلس أن يسلم المدينة إلى عبد المؤمن، لأنه كان يعتقد أن أهل الأندلس أحق بحكمها حتى لو تحالف مع الفرنج ضد المسلمين على الرغم من كونه مسلمًا، وعقد ابن مردنيش هدنة مع كثير من ملوك الفرنج وكان يرسل إليهم الجزية بصفة دورية، ولقد هزم عبد المؤمن ابن مردنيش هزيمة قاسية في معركة السبيكة عام ٥٥٧هـ، ولكن لم يستطع عبد المؤمن أن يخضعه لسيطرته حتى وفاته سنة ٥٥٨هـ.

تولى ابنه يوسف بن عبد المؤمن مقاليد السلطة الذي أخذت البيعة له بولاية العهد قبل وفاة عبد المؤمن بفترة طويلة حيث بويع عام ٥٤٩هـ، وقد كان هذا الفعل مخالفاً لتعاليم ابن تومرت ولكن استطاع عبد المؤمن تمريره بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، فلما حاول أخو ابن تومرت العصيان قبض عليها وأعدمها مع أتباعها، ومع وصول يوسف للحكم اشتعلت الثورات في عدة أرجاء من الدولة الموحدية، مثل ثورة الغماري الصنهاجي في منطقة غمارة ٥٥٩هـ، وثورة سبع بن منغفاد في صنهاجة ٥٦٠هـ، إلا أنه استطاع القضاء عليها وحافظ على قوة الدولة الموحدية.

ولكن هاجم ابن مردنيش غرناطة فتوجه إليه يوسف بن عبد المؤمن عام ٥٦٠هـ وهزمه في معركة الجلاب، وسيطر يوسف بن عبد المؤمن على شرق الأندلس بعد وفاة ابن مردنيش عام ٥٦٧هـ، وعندما استتبت له الأمور بدأ جهاده ضد النصارى فدخل في حروب برية وبحرية ضدهم، وكذلك عقد الهدنة مع بعضهم، حتى وافته المنية متأثراً بجراحه أثناء محاصرته لشنترين عام ٥٨٠هـ.

خلف يوسف في الحكم ابنه يعقوب الملقب بالمنصور (٥٥٤ - ٥٩٥هـ)، وفي عصره عاشت الأندلس أزهى عصور القوة والازدهار، وكان عادلاً في حكمه جاهد النصارى كثيراً حتى وفاته، عمل على توطيد سلطانه، فحارب بني غانية واستولى على أسطولهم، ثم استطاع سحق ابن غانية وأتباعه عندما دخل مدينة قفصة، واسترد شلب من سانشو الأول الذي هاجمها عام ٥٨٥هـ، وفتح المنصور الكثير من الحصون في أثناء هذا الاسترداد عام ٥٨٧هـ، ثم خاض آخر المعارك الكبرى في القرن السادس الهجري وهي معركة الأرك التي دارت عام ٥٩١هـ، وفيها انتصر المنصور على ملك قشتالة الذي استطاع أن ينجو بحياته ومعه حفنة من جيشه فيما فنى جيشه، وسقطت فيها كثير من

الحصون القشتالية وقلعة رباح التي ظلت في يد النصارى زهاء نصف قرن، وتعد هذه المعركة آخر الانتصارات الكبرى التي أحرزها المسلمون حيث بدأ بعدها السقوط المتتالي لمدن الأندلس حتى استسلام غرناطة عام ٨٩٨هـ-١٤٢٩م.

ولقد كان لهذا الوضع السياسي انعكاسه على كل مظاهر الحياة وعلى الأدب خاصة، فكان عصر الموحدين من العصور التي نما وازدهر فيها العلم والثقافة والأدب، على النقيض تمامًا من عصر المرابطين الذي شهد حالة من الركود الفكري، وذلك لأن الحكام الموحدين آمنوا بأهمية العلم وقيمته، فكان عبد المؤمن يُؤثر أهل العلم ف " يستدعيهم من البلاد إلى الجوار بحضرتهم، ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم"^(١١)، وكان يوسف ابنه يقرب منه ابن طفيل وابن رشد، وكان الخليفة المنصور^(١٢) من حفاظ الحديث، محبًا للعلماء والأدباء، محسنًا إليهم، مقربًا لهم، مصغيًا إلى المديح، مثيبيًا عليه، وكان محبًا للفلسفة، فبعد اضطهاده للفيلسوف ابن رشد عاد واستدعاه، واستخلصه لنفسه يطلعه على أسرار صناعة الصنائع.^(١٣)

عقد الموحدون ندوات تدور فيها معارضات بين أدباء الأندلس وأدباء المغرب في الشعر والموشحات والأزجال وفنون النثر المختلفة، فتميز هذا العصر بالازدهار الثقافي مما انعكس على المجتمع فأفرز خيرة الكتاب والشعراء، فاشتهر من الكتاب ابن الأبار(ت: ٦٥٨هـ)، وابن بشكوال(ت: ٥٧٨هـ)، والقاضي عياض(ت: ٥٤٤هـ)، وأبي المطرف بن عميرة(ت: ٦٥٨هـ)، والشقندي(ت: ٦٢٩هـ)، وكان هناك العديد من الشعراء الذين عاشوا في ظلال الدولة الموحدية وتركوا لنا دواوين شعر تنضح بالموهبة والتمكن في الشعر مثل شاعرنا ابن مجبر، وابن عربي(ت: ٦٣٨هـ)، وابن سهل (ت: ٦٤٩هـ)، والرصافي(ت: ٥٧٢هـ)، وغيرهم الكثير.

وكان التنافس بين الشعراء قد بلغ أشده بين شعراء الأندلس وشعراء المغرب، حيث حاول كل فريق إثبات تفوقه على الآخر، فتنافس الشاعر المغربي الجراوي مع الشاعر الأندلسي ابن مجبر عدة مرات، واحتفظت لنا كتب الأخبار بعدة وقائع يظهر فيها هذا التنافس مثل ما ذكره التلمساني أن " أنشد - ابن مجبر - يوسف بن عبد المؤمن يهنيه بفتح: (الخفيف)

إن خير الفتوح ما كان عفواً مثلما يخطب الخطيب ارتجالاً

وكان أبو العباس الجراوي حاضرًا، فقطع عليه لحسادةٍ وجدها، وقال: يا سيدنا
اهتمد بيت وضاح:

خير شراب ما كان عفواً كأنه خطبة ارتجال

فبدر المنصور، وهو حينئذ وزير أبيه وسنه قريب العشرين، وقال: إن كان اهتدمه
فقد استحقه لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف، فسرَّ أبوه بجوابه، وعجب
الحاضرون^(١٥).

ولقد تعددت أغراض الشعر في هذا العصر، وأصبح هناك شبه تخصص لكل
غرض "فتخصص ابن عربي والششتري في الشعر الصوفي، وبرز ابن الصباغ في المدائح
النبوية، وأكثر ابن سهل من الغزل الغلماني، وبرع الرصافي في شعر الحنين، واشتهر ابن
حزمون بالهجاء، وبرز الرندي في رثاء المدن، وتفرغ بعض الشعراء للمدح"^(١٦)، وكان من
أشهرهم ابن مجبر الأندلسي "الذي اختص بمدائح الموحدين منذ عصر أبي يعقوب
يوسف حتى عصر محمد الناصر"^(١٧) إلا أنه من الثابت تاريخياً وفاة ابن مجبر في خلافة
المنصور، وأنه لم يعيش حتى خلافة محمد الناصر.

وكان ابن مجبر علماً ومثلاً يحتذى في شعره، فعندما وقف المنصور على قبر ابن
حزم قال "كل العلماء عيال على ابن حزم، ثم رفع رأسه وقال: كما أن الشعراء عيال عليك
يا أبا بكر، يخاطب ابن مجبر"^(١٨)، وكما حكم المنصور بعدم سرقة ابن مجبر لشعر ابن وضاح
كما أراد أن يثبت الجراوي، بل وامتدحه لنقله المعنى إلى معنى شريف كما مر بنا آنفاً، نجده
مرة أخرى في موقف آخر يحكم لابن مجبر وهو مناسبة وصف المقصورة المتحركة، فلما
أنشده قصيدته أعجب بها "وارتاح لاختراعها والتفت إلى الجراوي، وكان يعلم قلة
تسليمه لأبي بكر، وكثرة غضبه منه، فقال: سلم يا أحمد! ثم أنشد: (الوافر)

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع"^(١٩)

وهذا يوضح قيمة ابن مجبر فهو شاعر مجيد يمدحه المنصور بنفسه، ولم تختلف آراء
المؤرخين كثيراً عما ذهب إليه الخليفة المنصور، فابن مجبر عند ابن الأبار "شاعر الأندلس

بل شاعر المغرب غير مدافع ولا منازع وكان يمتدح الأمراء والرؤساء، وربما كتب لبعضهم ولم يكن أحد يجري مجراه من فحول الشعراء في وقته، يعترف له بذلك الأكابر من أهل الأدب ويشهد له بقوة عارضته، وسلاسة طبعه، وقصائده التي سارت أمثالاً وبعدت على قربها منالاً، وشعره مدون متداول^(١٩)، وذكر عنه المقرئ أنه " شاعر المغرب... وشعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف وأربعمائة بيت، واتصل بالأمر أبي عبد الله بن سعد بن مردنيش، وله فيه أمداح"^(٢٠)، ووصفه الذهبي بأنه "شاعر زمانه الأوحده، البليغ أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر، الفهري المرسي، ثم الإشبيلي"^(٢١) ولقد وُلد ابن مجبر - على سبيل الترجيح - في مرسية والتي كانت خاضعة لسيطرة ابن مردنيش، ولذلك اتصل به ومدحه، وعندما استولى الموحدون على شرق الأندلس (٥٦٧هـ) وقضوا على ابن مردنيش انتقل ليعيش في إشبيلية حاضرة الموحدين، ويمدح يوسف بن عبد المؤمن ثم الخليفة المنصور يعقوب بن يوسف، وعلى الرغم من ضخامة إنتاجه الشعري الذي بلغ أكثر من تسعة آلاف وأربعمائة بيت كما ذكر المقرئ، إلا أنه لم يصلنا إلا القليل من شعره، معظمه في مدح الخليفة المنصور، وبعض الأشعار في الغزل والوصف والحكمة والرثاء، وموشحة واحدة.

(ب) أدوار الخطاب

وهو الذي يشير إلى شكل العلاقة بين المشاركين في الخطاب من حيث الوضع الاجتماعي والعواطف الإنسانية المختلفة.

١ - الدور الأول: هو دور الفاعل الأصلي الذي يقرر ما يقال، ويتحمل مسؤولية ما قيل، ولقد كان ابن مجبر هو الذي يحدد ما يقال في معظم الأحيان، ولكن كان هناك من يدفعه لقول الشعر في بعض الأحيان، وذلك حينما استشاره فتى في حانوت وراق بتونس وكان يحمل سوسنة صفراء، وأوماً بها إلى خديه مشيراً، وقال: أين الشعراء؟ فقال ابن مجبر بداهة: (السريع)

بي رشاً وسناناً مهما اثنتى	حَارَ قَضَيْبُ الْبَانِ فِي قَدِّهِ
مذْ ولى الحُسْنَ وسلطانهُ	صارت قلوب الناس من جنده
أودع في وجتتيه زهرة	كأنها تجزَعُ من صَدِّهِ
وقد تفاءلتُ على فعله	أني أرى خدي على خدِّهِ ^(٢٢)

فكان الفتى هو الذي دفعه إلى الشعر ولم تكن هناك رغبة مسبقة لقوله عند شاعرنا.
 ٢- الدور الثاني: وهو دور مؤلف النص، أي الذي يخطط ما يقال وكيف يقال وهو هنا ابن مجبر وحده.

٣- الدور الثالث: هو دور الشخص الذي يدون الشعر المنطوق، ذكر الضبي في بغية الملتمس أنه رأى شعره مجموعاً في سفرين ضخمين، وفي تكملة الصلة لابن الأبار خبر يؤكد أن شخصاً يسمى أبو القاسم بن حسان حمل بعضه^(٢٣)، ويبدو أن ابن الأبار يعرف أبا القاسم جيداً لأنه أورد خبراً عنه يقول فيه " سمعت أبا القاسم بن حسان الكلبي بداره بإشبيلية يحكي أن... " ^(٢٤)، فهل دون أبو القاسم بن حسان هذا الشعر وأخذ منه المؤرخون وكتّاب السير بعد ذلك؟ أم أن هناك آخرين هم من دونوه ولكننا لا نعرفهم؟ على أية حال لقد فقد السفران وبقي من شعره شذرات متناثرة هنا وهناك في كتب عدة مثل زاد المسافر لأبي بحر صفوان بن إدريس (ت ٥٩٨هـ)، وبغية الملتمس للضبي (ت ٥٩٩هـ)، ورايات المبرزين لابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ)، والبيان المغرب لابن عذارى المراكشي (ت ٧٢١هـ)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨هـ)، والروض المعطار للحميري (ت ٩٠٠هـ)، ونفح الطيب للمقري (ت ١٠٤١هـ).

وتعد القصائد التي دونها أبو بحر بن صفوان من مصادر الدرجة الأولى نظراً لمعاصرته ابن مجبر ولكثرة القصائد التي أوردتها في كتابه، حيث بلغت ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة، أما المصدر الثاني فتعتبره الدراسة كتاب نفح الطيب وذلك بسبب جمعه للعديد من المقطوعات والقصائد لابن مجبر على الرغم من طول الفترة الزمنية بينهما، ثم يأتي المصدر الثالث وهو كتاب شعر ابن مجبر الأندلسي والذي جمعه وحققه دكتور محمد زكريا عناني، حيث جمع شعر ابن مجبر من مختلف المصادر السابقة وقدم لها بدراسة قيمة.

ومن هذه المصادر كلها تحاول الدراسة الوصول إلى الرسالة أو المعنى الذي أراد منتج النص أن يوصلها إلى المتلقي لتحقيق قصدية معينة، ف " المتكلم أو الكاتب يلجأ إلى بعض البنى لأسباب إستراتيجية، أي لزيادة فرصه في أن يرى عبارته مقبولة حقاً من قبل متلقيه، وفي أن يراها متبوعة بنتيجة عند الاقتضاء مثل المعرفة أو الفعل"^(٢٥)، وهذا يعني -

بصورة غير مباشرة - أن هناك مخاطبًا حاضرًا بالفعل أو بالقوة يسعى الشاعر لإقناعه لكسبه إلى جانب أطروحته بواسطة إستراتيجية تعبيرية خاصة، ولذلك فالشاعر يضع نصب عينيه - حين صنع قصيدته - المتلقي، فيمحو ما يكتب أو يثبت حتى يتحقق له تكييف خطابه بقدر العقول الموجه لها، ومعنى هذا: أنه ليس سيّدًا مطلق السيادة يملي على المتلقي المغلوب على أمره ما يشاء، ولكنه - في الوقت نفسه - ليس منفذًا لمتطلبات الجمهور مستحسنًا لتصفيقاته فيطر به بما يشاء، وإنما هناك تزامن وتناغم بين عملية الخلق الشعري والهيئة المثالية المنتظرة.^(٢٦)

فهناك علاقة جدلية أزلية بين الإنتاج والتلقي، على اعتبار أن المتلقي يساهم في إنتاج المعنى بتوجيه من بنيات النص الداخلية على أساس وجودها المسبق داخل النص قبل تدخل القارئ لإنتاج المعنى ومن هنا كان النص الأدبي لا يمتلك معاني أو قيمًا أو دلالات ثابتة، لأن "لكل قارئ - في كل فترة - معارف وآراء ومواقف واهتمامات ومهامًا وأهدافًا أخرى، فيمكن لذلك أن تختلف (التيات)، أي ما يستشعر أنه مهم تبعًا لاختلاف القراء"^(٢٧)، ومن هنا كان التعدد في مستويات التلقي، ففي المستوى الأول يكون الخطاب الشعري موجّهًا إلى شخص أو عدة أشخاص حسب الموقف الذي أنتج النص، أما المستوى الثاني هو المتلقي - الذي لم يوجه الخطاب له - بصفة عامة حتى وقتنا الحاضر.

وبما أن معظم الشعر الذي وصلنا هو شعر مدح دار حول شخصية محورية هي شخصية المنصور يعقوب بن يوسف، فيصبح "الممدوح هو الموضوع وهو المتلقي الأول للنص، أو هكذا يُتلقَى لحظة إنشاده الأولى"^(٢٨)، فيقول ابن مجبر في قصيدته: (الكامل)

قلائدُ فتِحَ كان يَذخرُها الدهرُ فلما أَرَدتِ الغَزوَ أبْرزَها النَّصرُ^(٢٩)

فالمنصور قد هاجم النصارى سنة ٥٨٦هـ واستطاع أن يحقق عدة انتصارات متتالية عليهم، وقتل منهم خلقًا كثيرًا وأسر آخرين، فامتدحه الشعراء^(٣٠).

ولقد مدح كذلك الحاجب أبا حفص عندما تولى منصب شرق الأندلس، فقال له:

(البيط)

هل زِيدتِ الشمسُ للأنوار أنوارا أم عَادتِ الشَّهْبُ في الأفلاكِ أقمارا؟^(٣١)

أما الرثاء فقد يُختلف في تحديد متلقيه المقصود، فأحياناً يكون الشاعر هو المتلقي المقصود وذلك عندما يفقد فرداً من أفراد أسرته أو صديقاً من أصدقائه، فهو يشعر بالحزن الشديد على فقده إياه، أما في رثاء الملوك والقادة فيصبح المتلقي المقصود هو ابن المتوفى أو أحد من أسرته، ويطمع الشاعر من خلال هذا الرثاء في أن يظل في المكانة ذاتها التي كان عليها قبل ذلك، ولقد رثى ابن مجبر ملك الموحدين يوسف بن عبد المؤمن، فيصبح المتلقي - على الأرجح - هو المنصور يعقوب بن يوسف، فيقول ابن مجبر: (الكامل)

جَلَّ الْأَسَى فَأَسْلُ دَمَ الْأَجْفَانِ ماذا الشؤونُ لغير هذا الشأنِ

ومن الوارد في قصيدة الغزل أن نجد الشاعر يخاطب محبوبته عندما يكون في تجربة عاطفية، أو أن تكون القصيدة مؤلفة لغرض الغناء أو غيره فهنا يُختلف المتلقي باختلاف الغرض الذي أُبدعت من أجله القصيدة، ولقد ألف ابن مجبر العديد من القصائد الغزلية الصريحة فهل كان يخاطب محبوبته - التي لم يذكر اسمها - فتكون هي متلقي قصيدته المقصود، أم يخاطب بها الراقصين في ذلك الوقت فيحلون محل المحبوبة في التلقي؟! ولا يمكن التحقق من هوية المتلقي نظراً لقلّة المعلومات المتاحة عن قصائده المفقود معظمها، وإن كانت تميل الدراسة إلى أن قصائده كانت تؤلف للراقصين وذلك لإبداعه أيضاً في فن الموسحة التي يقصد بها الغناء، فيقول ابن مجبر: (الطويل)

دَعِ الْعَيْنَ تَجْنِي الْحَبَّ مِنْ مَوْجِ النَّظْرِ وَتَغْرُسْ وَرْدَ الْحَسَنِ فِي رَوْضَةِ الْحَقْرِ^(٣٣)

ولقد كان لابن مجبر سهم في التغزل بالمذكر في عصر الموحدين، وكان هذا الغزل الشاذ مألوفاً بين الأندلسيين منذ وقت طويل " حتى لنرى في فترة الخلافة أن الغزل بالمذكر لا يقتصر على مجالات اللهو والمجون فحسب، بل تعدى ذلك إلى أكثر المجالات وقاراً، واصطناعاً للجد وهو مجال مدح الخليفة"^(٣٤)، فلقد تغزل ابن مجبر في عدة أشخاص، وفي هذه القصيدة يتغزل في طالب من مالقة يُسمى عبد المحسن بن علي بن عبد الله الأنصاري، ويكون هو متلقيه المقصود فيقول فيه: (الكامل)

أَشْكُو لِذِي الْإِحْسَانِ عَبْدَ الْمُحْسَنِ فَلَعَلَّهُ يَرِثُنِي لِمَا قَدْ مَسَّنِي^(٣٤)

ويصبح ابن مجبر نفسه هو متلقي شعره المقصود عندما يتذكر فترة شبابه ويرثي

لحاله في الكبر، فيقول: (الكامل)

رَحَلَ الشَّبَابُ وَمَا سَمِعْتُ بَعْبِرَةَ تَجْرِي لِثَلِّ فِرَاقِ ذَاكَ الرَّاحِلِ^(٣٥)

أما في شعر الحكمة ففيه يخاطب ابن مجبر المجتمع ككل، فيصبح المخاطب هو المستمع لهذه الأبيات أو قارؤها بصفة عامة دون تحديد، وفي هذا الغرض يقول ابن مجبر: (السيط)

إِنَّ الشَّدَائِدَ قَدْ تَغَشَى الْكَرِيمَ لِأَنَّ تَبِينَ فَضْلٍ سَجَايَاهُ وَتَوْضُوحَهُ^(٣٦)

فكان تعدد الأغراض الشعرية يعكس جانباً مهماً من تعدد مستويات المتلقين سواء على مستوى العلاقات الاجتماعية أم على مستوى السلطة في آن.

ثانياً: السياق الثقافي

وهو تختلف السمات الثقافية المتصلة بوقت كتابته والمسيطرة على كاتبه النصوص من أعراف أدبية ولغوية... ويؤدي تحديد السياق الثقافي إلى معالجة مجموعة من المفاهيم التي تشكل مفهوم الثقافة لدى المشاركين في الخطاب، وتنحصر هذه المفاهيم في:

أ- نوع الخطاب ب- لغة الخطاب ج- معجم الشاعر

(أ) نوع الخطاب

يُعد شعر ابن مجبر امتداداً طبيعياً للشعر العربي المشرقي والأندلسي على السواء، فهذا التراث الضخم كان له دور كبير في تشكيل الخطاب عند ابن مجبر، فسار - في معظم الأحيان - على التقاليد الفنية المتوارثة، فكان يضع مقدمة غزلية في قصيدته المدحية، فيقول: (المديد)

أَتَرَاهُ يُتْرِكُ الْغَزَلَ وَعَلَيْهِ شَبَبٌ وَأَكْتَهَلًا^(٣٧)

والمثير للدهشة أن هذه المقدمة قد استغرقت من الشاعر ثمانية وعشرين بيتاً في حين أن القصيدة يبلغ عدد أبياتها مائة وسبعة أبيات أي تقريباً ربع القصيدة. وبدأ قصيدة أخرى بوصف للرحلة الشاقة التي تكبدها حتى يصل إلى الممدوح، وفيها يقول: (الوافر)

سَأَسْتَجِدِّي صَغِيرًا مِنْ كَبِيرٍ وَأَزْعَبُ فِي حِصَاةٍ مِنْ ثَبِيرٍ^(٣٨)

ولكن لم ينزع ابن مجبر إلى التمسك بالمقدمة دائماً كعادة القدماء، فلقد استهل بعض قصائده بالمدح مباشرة دون تقييد بوجود مقدمات، فبدأ قصيدته التي مدح بها المنصور لفتحته بلاد الجريد بقوله: (البيسط)

عَدُوكُمْ بِخَطُوبِ الدَّهْرِ مَقْصُودٌ وَأَمْرُكُمْ بِاتِّصَالِ النَّصْرِ مَوْعُودٌ^(٣٩)

ففيها يبدأ مباشرة بمهاجمة الأعداء، الذين تأتيهم المصائب والكوارث بسبب عداوتهم لك، بينما الانتصارات تتوالى عليك أيها الخليفة تنتشر الفرحة والسعادة بين الناس، ويقول في مطلع قصيدة أخرى: (الوافر)

أَسْأَلُكُمْ لِمَنْ جَيْشٌ هَامٌ طَلَّعُهُ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ^(٤٠)

ويبدو الجيش هنا على أهبة الاستعداد للقتال، ويضفي على مهمة الجيش صبغة دينية حيث إن الملائكة تتقدمه وتحرسه، فالجيش في مهمة مقدسة وقائده هو خليفة الله.

ولكنه لم يلجأ إلى التخلي عن نهج الالتزام بالأوزان الشعرية المعروفة وكذلك الالتزام بالقافية الموحدة للأبيات كما فعل الشعراء المحدثون في المشرق العربي، وعلى الرغم من تمسك الشعراء الأندلسيين بالموروث الشرقي في الأوزان والقوافي فإن هذا لم يمنع وجود تنافس فكري وثقافي بل وسياسي بين الأندلسيين والمشاركة، فكان التنافس في هذا العصر ما هو إلا امتداد للعصور السابقة عليه التي نحت تجاه إبراز فضل الأندلس على المشرق في محاولة لإثبات الذات في شتى العلوم والمعارف.

ولقد أشار ابن مجبر إلى هذا التنافس بطريقة صريحة، وإن كان تطرق له من اتجاه سياسي بحث في سياق المدح، وذلك حين قال: (الرميل)

بِعَلاَكُمْ وَهُوَ حَسْبُ الْمَطْنِبِ عَرَفَ الْمَشْرِقُ فَضْلَ الْمَغْرِبِ
فَسَّحَ الدَّهْرُ لَهُ حَتَّى رَأَى سَيْرَ ابْنِ وَأَبٍ بَعْدَ أَبِي^(٤١)

فالمشرق أدرك فضل المغرب عندما تولى المنصور ووالده من قبله مقاليد الحكم، فهو يباهي بهما المشرق ويثبت فضل حكام الأندلس.

(ب) لغة الخطاب

وتعني طبيعة اللغة المستخدمة في النص سواء أكانت رسمية أم غير رسمية، منطوقة أم مكتوبة، والنظام الرمزي للنص ووظيفته في السياق مما يشي بالدور الذي تلعبه اللغة بالنسبة للفئات المشاركة من إقناع أو تعليم أو تفسير^(٤٢)، ومن البدهي أن تختلف لغة

الخطاب باختلاف المتلقين وتعدد الأغراض الشعرية، ففي قصائد المدح يستخدم الشاعر اللغة الرسمية والألفاظ الدالة على البُعد الاجتماعي للممدوح، فيقول: (الرملة)

أَيُّهَا الْمَنْصُورُ إِنَّ الدِّينَ قَدْ حَلَّ مِنْ عَزْكَ أَعْلَى الرُّتَبِ^(٤٣)

فهو ناصرٌ للدين وماحقٌ للنصارى، ويصبح الضمير (أنتم) هو المسيطر على الشاعر في قوله: (الرملة)

أَنْتُمْ أَحْيَيْتُمُ الدِّينَ وَقَدْ مَاتَ فِيهَا مَوْتٌ مَنْ لَمْ يُعْقَبِ^(٤٤)

فالممدوح هو المنقذ للمسلمين من بطش النصارى الظالمين، فهو محيي للدين، ويقول أيضًا: (الوافر)

أَمِيرٌ قَدْ مَحَا ظَلَمَ اللَّيَالِي وَأَغْرَقَ جُودُهُ نُوبَ الدُّهُورِ^(٤٥)

فيصبح الأمير - في نظر ابن مجبر - هو النور المطلق الذي نشر العدل بين الناس، ومن شدة كرمه لم تعد هناك أي مصائب للدهر يمكن أن تصيب الإنسان لأنه يتدخل ويزيلها.

وتختلف تمامًا لغة الخطاب حينما يتغزل في محبوبته ويُطالبها بقبلة ولكنها تتمتع عليه، وفي ذلك يقول ابن مجبر: (الطويل)

وَرَاوَدْتُهُمَا عَنْ ثَمْمِهِ فَتَمَنَعْتُ وَمَا عَادَةُ الْأَغْصَانِ أَنْ تَمْنَعَ الثَّمْرُ^(٤٦)

ففي هذا البيت توحدت محبوبته مع الشجر فأصبحت في نظره رمزًا للجمال والنقاء، ويتعجب من تمنعها عليها لأنه لم ير قبل ذلك أشجارًا تمنع ثمارها.

وتصبح اللغة سهلة التناول عندما يبدع في غرض الحكمة، وذلك حتى يدركها كل من يسمعها، فيقول: (المقارب)

أَلَا مَقَّتَ اللهُ سَعْيِي الحَرِيصِ فَمَا جَازَهُ الدَّمُ إِلَّا إِلَيْهِ
يُسْرَ بِمَا فِي يَدِي غَيْرِهِ وَيُنْسَى السَّرُورَ بِمَا فِي يَدِيهِ^(٤٧)

ولقد لجأ الشاعر إلى محاورة ذاته (المنولوج) ليحاول التخفيف من وطأة الزمان عليه بعد مرور فترة شبابه التي مرت بسرعة مثل الظل الذي يظهر ثم يختفي دون أن يلحظه، فيقول: (الكامل)

قد كنتُ أزهى بالشبابِ ولم أخل
ظلُّ ضفالي ثم زال بسرعة
أن الشبية كالحضابِ الناصِلِ
يا ويح مُغترّ بظلِّ زائلٍ^(٤٨)

ويمارس الحوار الذاتي مرة أخرى حين يتعجب من فترة شبابه لأنها لم تعطه الحلم على الرغم من أنها أمدته بكل متع الدنيا فلا يكون للشيب أي فضل عليه، وهو في ذلك يقول: (البيسط)

ليت الشبابَ الذي ولت نضارتهُ
فلم تكن منةً للشيبِ أجملها
أعطاني الحِلْمَ فيما كان أعطاني
ولم يكن من سُروري بعضُ أخزاني^(٤٩)

وكان للديالوج الساخر حضوره في شعر ابن مجبر في قصيدته التي يقول فيها:
(الوافر)

ورُمْتُ أَخَادِعُ الكِيَالِ فيما
وأُنشدهُ من المَرْوِي طُورًا
لديه فقَالَ لي نَزْرًا بِزُورِ
وأُكثِرُ في الروايةِ عن جَرِيرِ
فقالَ لي الذمِيمُ إِلَيْكَ عني
فَأنتَ تَرُومُ تَيْسِيرَ العَسِيرِ^(٥٠)

حيث يحاول الشاعر استجداء الكيال بشعره حتى يحصل منه على شعير يسد به جوعه، ولكن الكيال يرفض في نهاية الأمر بل ويوبخه على ذلك الظن، ولقد اعتمد ابن مجبر على هذا الحوار لكي يخلص منه إلى مدح الأمير الرشيد أبو حفص عمر بن يوسف بن عبد المؤمن.

ولقد كان ابن مجبر يُلقي شعره شفاهة أمام المتلقين، إلا أن هناك خبراً أورده المقرئ فيه أن "من نظم ابن مجبر أيضاً ما كتب به إلى سلطان ملك المغرب - رحمه الله تعالى - وقد ولد له ابن، أعني لابن مجبر:

وُلِدَ العَبْدُ الذي إنعامكم
وهو دون اسمٍ لِعلمي أَنَّهُ
طِينَةٌ أنشءَ منها جَسَدُهُ
لا يُسمي العَبْدَ إلا سَيِّدُهُ"^(٥١)

فهنا يُمكن ملاحظة دخول ثنائية جديدة بين (المنطوق والمكتوب) في شعر ابن مجبر، وربما حمل لنا شعره المفقود الكثير من الشعر المكتوب.

(ج) معجم الشاعر

تعد العلاقة بين المبدع والمتلقي محصورة دائماً في الكلمة التي يستطيع أن ينسج بها المبدع ما يريد، وتصبح قيمة الكاتب مرهونة بقدرة كلمته على التأثير في الآخر بما تحمل في طياتها من طاقات إيجابية ودلالية متجددة لا نهائية، هذه الكلمة تدخل في علاقات وشائحية تركيبية معقدة مكونة للنص.

ومن هنا كان الشاعر يتأني في اختيار ألفاظه الملائمة التي تقترب بدرجة أو بأخرى من المتلقي وتعبر عن حاجاته المتعددة، فحسن الاختيار هو الذي يجعل له السبق على غيره من الشعراء، ويكون المحدد للشاعر في هذا الاختيار الغرض الذي قيلت القصيدة من أجله من جهة، والمتلقي بعلاقته الرسمية/ غير الرسمية مع المبدع من جهة أخرى.

ويأتي المدح في مقدمة الأغراض التي أبدع فيها الشعراء على مر تاريخ الأدب العربي، والنص المدحي يجسد " التجادل الفريد بين المبدع ورغبته في الإبداع المنفرد والكسب الوفير، والمدح ورغبته في تدعيم الملك وخلود الذكر من ناحية، وقدرة النص على تحقيق هذه الأهداف من ناحية أخرى"^(٥٦)، وابن مجبر جزء من هذه المنظومة التراثية الحاكمة، ولذلك من البدهي أن يساير الثقافة السائدة ويضفي صفات مثالية على المدح الذي (بأسه رحمة) و(يحيي الدين) و(محا ظلم الليالي) وتصبح صفة (التقوى) صفة أساسية لديه، وخيوله (ستنسف أرض المشركين نسفاً)، فالمنصور هو (إمام جيش) يرسل له (الملا الأعلى له مددا)، بل يبالغ ابن مجبر في وصف المنصور بـ (أمر الله) وبأنه مثل (سيدنا سليمان وسيدنا داود) عليهما السلام.

أما في الغزل فيتغنّى الشعراء دائماً بجمال المحبوبة ودلالها، وتكون صفاتها الجسدية والروحية محفزاً له ليخرج طاقته الإبداعية فيها، وحينما يتحدث ابن مجبر عن محبوبته نجده قد وصفها بأن لها (عيونٌ نُجِل) أي واسعة وجميلة ومن فرط جمالها تصبح مثل (السيف) التي تقتل من تنظر إليه، وأما جمال خدها فيشبهه في حمرة (الزهر)، أما خصرها فيصبح مثل (خوط البان) أي غصن ناعم طري، فهي مثل (القمر) الذي ينير ظلمات الليل، أما حين يتغزل ابن مجبر في المذكر فإنه يصفه بـ (الشمس التي حولها قوس قزح) وأن له وجنتين (أودع فيها زهرة) حيناً ومطرز (بالجلنار) حيناً آخر، ويتمتع (خصره برقة) لا مثيل لها.

وتحمل الألفاظ المعبرة عن الرثاء الشجن والحزن الشديد على المفقود، فيستخدم ألفاظاً مثل (الأسى) فسالت (الدماء من الأجفان) من كثرة البكاء، ويدعو الله أن (يرحمه)، أما كلمات الحزن والشكوى من الزمن فلها موقعها في شعر ابن مجبر، فلقد (رحل الشباب) بسرعة مثل (الظل الزائل) وأضحت الشيبة (كالخطاب الناصل) في رأسه.

٢- السياق المصاحب

ويقصد به التفاعل المصاحب للإبداع سواء أكان تعبيرات لفظية أم غير لفظية، وبها أنه لا يمكن التوصل إلى الأداء الصوتي من النبر أو التنغيم أو الحركي مثل إيهاءات وحركات الجسد المصاحبة، فإن الدراسة ستعتمد على تحليل شعر ابن مجبر باعتباره نصاً مكتوباً، ويمكن تبيين السياق المصاحب في خبر للمقري وذلك حينما استثاره فتى في حانوت وراق بتونس وكان يحمل سوسنة صفراء، وأوماً بها إلى خديه مشيراً، وقال: أين الشعراء؟ فقال ابن مجبر بداهة: (السريع)

بي رشاً وساناً مهها انثنى حار قضيبُ البانِ في قدّه^(٥٣)

فحركة الشاب والسوسنة التي يحملها والإيهاءات التي قام بها تعد من قبيل شحذ الموهبة وإثارة ابن مجبر ليقول شعراً فيه.

٣- السياق اللاحق

يُعنى السياق اللاحق بأثر القصيدة في المتلقي وما أدت إليه من ردود أفعال سواء أكانت تحمل طابعاً إيجابياً أم سلبياً تجاه الشاعر أو عمله الفني، وقد وردت عدة أخبار عن الأثر الذي تركه شعر ابن مجبر فيمن حوله، ومن ذلك أن ابن مجبر كانت له وفادة على المنصور كل عام بمراكش، وتصادف في أثناء الزيارة " فراغ المنصور من أحداث المقصورة التي كان أحدثها بجامعة المتصلة بقصره في حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتخفف لدخوله، وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والأدباء قد نظموا أشعاراً أنشدوها إياه في ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجزيته الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى إلى وصف الحال

حتى قام ابن مجبر فأنشد قصيدته التي أولها: (الكامل)
 أَعْلَمْتَنِي أَلْقِي عَصَا التَّسْيَارِ فِي بَلَدَةٍ لَيْسَتْ بَدَارٍ قَرَارِي
 واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة يصفها:
 طَوْرًا تَكُونُ بِمَا حَوْتُهُ مُحِيطَةٌ فَكَأَنَّهَا سُورٌ مِنَ الْأَسْوَارِ

 يَبْدُو فِتْبَادُوْثٌ ثُمَّ تَخْفَى بَعْدَهُ كَتَكُّوْنُ الْمَالَاتِ لِلْأَقْمَارِ

فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها والتفت إلى الجراوي وكان يعلم قلة تسليمه لأبي بكر وكثرة غضبه منه فقال سلم له يا أحمد ثم أنشده: (الوافر)

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعِهِ وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

قال أبو عبد الله فخرج أبو بكر بن مجبر والشعراء يومئذ يلومونه أن لم يكن أول منشد حتى يخفوا أشعارهم بعده ويستروا عوارهم^(٤٣)، ففي هذا الموقف يتعدد السياق اللاحق للمتلقين، فهناك سياق لاحق في رد فعل المنصور بعد سماع القصيدة فهو قد (طرب لسماعها وارتاح لاختراعها) هذا من جهة، وسياق لاحق أيضًا بين المنصور والجراوي، عندما ألمح المنصور للجراوي بتفوق ابن مجبر عليه بعد إنشاده للقصيدة من جهة ثانية، وسياق لاحق بين الشعراء وابن مجبر حينما عاتبوه على أنه لم يكن أول منشد حتى يستطيعوا أن يسيروا خلفه ويخفوا عجزهم أمام المنصور من جهة ثالثة، فكل هذه التعبيرات اللفظية/ غير لفظية بمثابة رد فعل على ما أبدعه.

وموقف آخر تم ذكره آنفًا في سياق التنافس بين ابن مجبر والجراوي عندما اتهمه الأخير بسرقة بيت ابن وضاح " فبدر المنصور، وهو حينئذ وزير أبيه وسنه زهاء العشرين، وقال: إن كان اهتدمه فقد استحققه لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف، فسّر أبوه بجوابه، وعجب الحاضرون^(٤٤)، فهنا يوجد سياق لاحق مارسه الجراوي على بيت ابن مجبر واتهمه بسرقة المعنى من ابن وضاح محاولاً في ذلك التقليل من شأنه، وأدى هذا إلى ظهور سياق لاحق على ما قاله الجراوي وهو حديث المنصور الذي دافع عن شاعرية ابن مجبر لأنه وإن أخذ المعنى من ابن وضاح فإنه استطاع أن يضعه في سياق أفضل، لأن ابن وضاح شبه شرب الخمر في غير الوقت المعتاد بالخطبة المرتجلة التي

تدل على فصاحة قائلها، أما ابن مجبر فلقد وسم انتصار يعقوب بن يوسف على أعدائه بال تلقائية نظراً لقوة جيشه وشجاعته في الحروب وهذا يشبه التحدي السهل لخطيب مُفَوِّه خطب ارتجالاً دون استعداد، فتسبب هذا الرد المُفْجِم من المنصور في ظهور سياق لاحق من الحاضرين وهو سرور والده وتعجب الحضور من سرعة بديته.

الخاتمة

سعت هذه الدراسة التطبيقية إلى تتبع السياق في ديوان ابن مجبر الأندلسي من خلال منهجية هاليداي ورقية حسن، فُقسم السياق إلى سياق سابق يندرج أسفله سياق الموقف والسياق الثقافي، وسياق الموقف يتفرع بدوره إلى مجال الخطاب وأدوار الخطاب ولغة الخطاب، أما السياق الثقافي فيضم تحت لوائه نوع الخطاب ومعجم الشاعر، ثم توقفت الدراسة أمام السياق المصاحب، والسياق اللاحق.

وخلصت الدراسة إلى أن السياق كان كاشفاً عن خصوصية الإبداع الشعري لابن مجبر، من حيث الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي أَلقت بظلالها على شاعرنا بصفته شاعر البلاط الأول، فتفاعل معها وتأثر بها فأبدع، فكان لهذا الإبداع دوره وقيمته وتأثيره في الواقع الذي يعيشه، فلم تشكل نصوصه بنية فوقية في علاقتها بالواقع، بل كانت بنية موازية تتشكل من خلاله، وتعيد تشكيل هذا الواقع في آن، وهذا ما كشفت عنه الدراسة.

الهوامش:

- (١) ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (سوق).
- (٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة (سوق).
- (٣) الزمخشري: أساس البلاغة، مادة (سوق).
- (٤) مجموعة باحثين: المعجم الوسيط، مادة (سوق).
- (٥) رمزي البعلبكي: معجم المصطلحات الحديثة، ص ١١٩.
- (٦) محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري، مؤسسة الفلاح للترجمة والنشر، ١٩٩١م، ص ٥٧.
- (٧) أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٤٧.
- (٨) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م، ٤/ ١٨٣.
- (٩) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين، الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م، ص ١٧٧.
- (١٠) نفسه، ص ٢٣٤.
- (١١) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، ص ٢٦٩.
- (١٢) ولقد تلقب المنصور بال خليفة وعدّ نفسه أمير المؤمنين، وفي ذلك يقول عبد السلام الجراوي: (البيسط)

إِن الْخِلاَفَةَ نَأَلْتَ مِنْ مَحَاسِنِكُمْ أَوْ فِي الْحُظُوظِ فَأَبَدْتَ مَنْظَرًا عَجَبًا

أَعْلَى الْمَرَاتِبِ مِنْ بَعْدِ النَّبُوَّةِ قَدْ حَبَّأَهَا اللَّهُ أَعْلَى الْخَلْقِ وَانْتَخَبَا

بل إن عدم وضع لقب (أمير المؤمنين) في الرسالة التي أرسلها صلاح الدين الأيوبي إلى المنصور كان سبباً في رفضه للتعاون معه في حروبه ضد الصليبيين. راجع ما ذكره الدكتور علي الصلابي في كتابه دولة الموحدين، دار البيارق، عمان، ١٩٩٨م، من ص ١٨٨ - ١٩١.

(١٣) المراكشي: المعجب، ص ٣٨٥.

(١٤) المقرئ التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٢٣٧/٣.

- (١٥) فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، ٢٠٠٧م، ص ٧٧.
- (١٦) نفسه، ص ٧٩.
- (١٧) المقرئ التلمساني: نفع الطيب، ٣/ ٢٣٧.
- (١٨) أبو القاسم بن أحمد الغرناطي: رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة، مطبعة السعادة، ١٣٤٤هـ، ص ٧١-٧٢.
- (١٩) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ٤/ ١٨٣.
- (٢٠) المقرئ التلمساني: نفع الطيب، ٣/ ٢٣٧-٢٣٨.
- (٢١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٢١٥.
- (٢٢) المقرئ التلمساني: نفع الطيب، ٤/ ٨٨.
- (٢٣) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ٤/ ١٨٣.
- (٢٤) ابن الأبار: المقتضب من تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٩٠.
- (٢٥) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، عدد أغسطس، الكويت، ١٩٩٢م، ص ٢٠٦.
- (٢٦) محمد مفتاح: دينامية النص، ص ٦٧.
- (٢٧) فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٩٤.
- (٢٨) محمد عبد الباسط: بلاغة الخطاب قراءة في شعرية المديح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٥م، ص ٨.
- (٢٩) ابن مجبر: الديوان، ص ١٠٦.
- (٣٠) ابن عذارى: البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ٣/ ٣٠٧.
- (٣١) صفوان بن إدريس: زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، علق عليه عبد القادر محذاء، بيروت، ١٩٣٩م، ص ٩.
- (٣٢) ابن مجبر: الديوان، ص ٩٧.
- (٣٣) فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص ١١٨.

(٣٤) ابن مجبر: الديوان، ص ١٢٤.

(٣٥) نفسه، ص ١١٥.

(٣٦) نفسه، ص ٨٨.

(٣٧) نفسه، ص ١١٢.

(٣٨) نفسه، ص ٩٨.

(٣٩) نفسه، ص ٩٢.

(٤٠) نفسه، ص ١٢١.

(٤١) نفسه، ص ٨٢.

(42) Haliday and Ruqaiya Hasan, Language, Context and Text, aspects of language in social semiotic perspective, Oxford university press, 1989, p.5.

(٤٣) ابن مجبر: الديوان، ص ٨٢.

(٤٤) نفسه، ص ٩٩.

(٤٥) نفسه، ص ٨٢.

(٤٦) نفسه، ص ٩٧.

(٤٧) نفسه، ص ١٢٩.

(٤٨) نفسه، ص ١١٥.

(٤٩) نفسه، ص ١٢٥.

(٥٠) نفسه، ص ٩٨-٩٩.

(٥١) نفسه، ص ٩٤.

(٥٢) محمد عبد الباسط: بلاغة الخطاب، ص ٩.

(٥٣) المقرئ التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨٨/٤.

(٥٤) أبو القاسم بن أحمد الغرناطي: رفع الحجب، ص ٧١-٧٢.

(٥٥) المقرئ التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢٣٧/٣.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- القرآن الكريم
- ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.
- _____: المقتضب من تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٩م.
- البغدادي: قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، مطبوع في رسائل البلغاء لمحمد كرد علي، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ابن الخطيب: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مطبعة التقدم الإسلامية، الطبعة الأولى.
- ابن عذارى: البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- صفوان بن إدريس: زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، علق عليه عبد القادر محذاء، بيروت، ١٩٣٩م.
- أبو القاسم بن أحمد الغرناطي: رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة، مطبعة السعادة، ١٣٤٤هـ.
- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ابن مجبر الأندلسي: شعر ابن مجبر الأندلسي، جمع وتحقيق ودراسة محمد زكريا عناني، ط١، دار الثقافة، بيروت، ٢٠٠٠م.
- المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة.
- المقرئ التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

ثانيًا، المراجع

- أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠١م.
- حسام أحمد فرج: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، الطبعة الثالثة، القاهرة، ٢٠١٨م.
- سعيد حسن بحيري: دراسات لغوية تطبيقية في البنية والدلالة، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- _____: علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٧م.
- عزة شبل: علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- علي محمد الصلابي: دولة الموحدين، دار البيارق، عمان، ١٩٩٨م.
- فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، ٢٠٠٧م.
- محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩١م.
- محمد عبد الباسط: بلاغة الخطاب قراءة في شعرية المديح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٥م.
- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين، الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٠م.
- محمد محمد أبو موسى: دلالات التراكيب دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٧م.
- محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م.

- منذر العياشي: العلاماتية وعلم النص (نصوص مترجمة)، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ٢٠٠٤م.

المراجع المترجمة

- إميليو غرسية غومس وآخرون: ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي، ترجمة محمود علي مكي، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م.
- جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- _____: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠م.
- فولفجانج هاينه مان ديتر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، زهراء الشرق، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٤م.

المراجع الأجنبية

- Haliday and Ruqaiya Hasan: Language, Context and Text, aspects of language in social semiotic perspective, Oxford University press, 1989.
- Haliday: Language as social semiotic, Park University press, London, 1978.
- J.R.Firth, Papers in Linguistics, Oxford University Press, 1957.
- Teun A. van Dijk: Semantic Macro-Structures and Knowledge Frames in Discourse Comprehension.

الدوريات

- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، عدد أغسطس، الكويت، ١٩٩٢م.

المراجع

- رمزي البعلبكي: معجم المصطلحات الحديثة، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.
- الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤م.
- محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري، مؤسسة الفلاح للترجمة والنشر، ١٩٩١م.
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت.